الجمود السياسي وصفة اكيدة للتوازن الامني السلبي

اولمرت سيركز النقاش في واشنطن حول ايران لعدم وجود تفويض لديه للتحدث عن الانطواء

■ حاييم رامون هو احد الوزراء القلائل وربما الوحيد الذي يؤمن بقوة رئيس الوزراء ايهود اولمرت في حشد 61 عضو كنيست تأييدا لخطة تسليم شيلو وبيت ايل لحماس.

عضو الكنيست يوسي بيلين مثلا يصرح بأن ميرتس ستؤيد أي قرار لتقليص حجم الاحتلال ولو بمتر مربع واحد. ولكن ان كان اولمرت يخطط لنقل بنحاس فلرشتاين وباروخ مرزيل الى الفيلات الجديدة التي ستقام من أجلهم على اراض تصادر من اجل هذا الغرض في ضواحي شرقي القدس وسفوح ارئيل فبيلين يقترح في هذه الحالة عدم ادخال اعضاء الكنيست الخمسة من ميرتس في حساباتهم. من البديهي ان الاحزاب العربية ستجد صعوبة في الوقوف الى يمين مبادرة لن تحظى بدعم حزب اليسار الصهيوني.

حتى حزب العمل ليس موضوعا في جيب اولمرت. رئيس الوزراء ينوي القول لعمير بيرتس بانه لا يملك تفويضا بالتحدث عن المفاوضات مع رئيس السلطة الفلسطينية حول التسوية الدائمة طالما كانت حماس في الحكومة. اولمرت يرفض التمييز بين ذراعي السلطة الفلسطينية (وهما بدعة اسرائيلية ـ امريكية كما نذكر جميعا).

رئيس حزب العمل لا ينوي التنازل لاولمرت في هذه المسألة وسيذكره بأنه لا يملك تفويضا بالتحدث مع بوش حول خطة الانطواء احادية الجانب.

الاتفاق الائتلافي والخطوط الاساسية للحكومة ينصان على ان تستنفذ الحكومة كافة الجهود والمساعي للتوصل للتسوية مع الطرف الآخر قبل التوجه للخطوات احادية الجانب. ولكن هذه الخطوط لا تلمح الى ملامح وخطوط التسوية المتفق عليها بين الشركاء في الحكومة. لنفترض ان اولمرت سيسحب معارضته للتفاوض مع ابو مازن من حركة فتح في ظل اسماعيل هنية: أية تعليمات سيوجهها للطاقم التفاوضي الاسرائيلي (الذي لم يشكل بعد) وهل سيوافق حزب العمل على ضم منطقة (اي1)؟ وهل يؤيد كديما مبدأ تبادل الاراضي؟ وشاس هل ستتنازل عن السيادة على كل اجزاء جبل الهيكل (الحرم)؟ وهل بلور حزب المتقاعدين موقفا بصدد قضية اللاجئين؟ وهل ستضحي يهدوت هتوراة بمخصصات الاولاد من أجل تمويل التعويضات للمستوطنين؟

كل واحدة من هذه المسائل كافية من أجل تفكيك الحكومة من قبل ان يعقد اللقاء التفاوضي الاول بين الفلسطينيين والاسرائيليين. لذلك يسعى الوزراء للتحدث بصوت منخفض عن احتضار خطة الانطواء من قبل ان تولد. في الغرف المغلقة يتحدثون عن ان كل ما يريده اولمرت هو العودة بسلام من واشنطن. هو يوجه تعليماته لمساعديه بأن يركزوا الزيارة على المشروع النووي الايراني. فليس هناك أفضل من هذه المسألة لابراز الوحدة الوطنية والدولية.

عندما يهددوننا بالقنبلة النووية لا يهتم بصغائر الامور الا سياسي مواظب مثل اوفير بينس كقضية اختفاء اللجنة الوزارية لتطبيق تقرير ساسون الذي اوصى قبل اكثر من سنة بتفكيك عشرات البؤر غير القانونية بصورة فورية. اليكم قنبلة موقوته اخرى في توازن الرعب السياسي القائم. بيرتس ليس على عجلة من أمره. بعد عامين عندما تكون خطة الانطواء عليها السلام على رأس انجازات اولمرت سيقوم بيرتس بحل الحكومة. مشكلته هي أن الجمود السياسي هو وصفة اكيدة للتوازن الامني السلبي ولذلك يعتبر هو ايضا مسؤولا عن ذلك.

تشمبرلاين يضرب مرة اخرى

بعد ايام من الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001 عندما بدا لاريئيل شارون ان الولايات المتحدة تنوي التضحية باسرائيل على مذبح الحرب ضد الارهاب قام باطلاق تصريح ما عن ميونيخ والمح لجورج بوش بأن لا يسير في اعقاب نويل تشمبرلاين المنادي بسياسة المصالحة وسيء الصيت من الاتفاق مع هتلر. الان جاء دور شارون وربما ايضا خليفته في المنصب لمقارنتهما بالسياسي الانكليزي البغيض.

موجه الانتقاد ـ رئيس هيئة االاركان خلال الانتفاضة الثانية الفريق (احتياط) موشيه يعلون. الموزع والناشر ـ مورتون كلاين رئيس منظمة صهاينة امريكا والرمز اليميني بين نشطاء الجالية اليهودية هناك، الذي يقود كل الحملات المناهضة للمبادرات التسووية بين اسرائيل وجيرانها. بعد ان قاد حملة مناهضة فك الارتباط ها هو يعد العدة من أجل التصدي لخطة الانطواء الأولمرتية. لا يتوفر له في كل يوم دعم ورديف كفاحي مثل بطل دروب اسرائيل (يعلون) في معركته المستمرة.

كلاين يذكر في مقالة وزعها في آخر الاسبوع عن محاضرة القاها يعلون امام 500 يهودي في كنيس في منهاتن. يعلون قال للحضور اننا لسنا بحاجة لتشمبرلاين وانما لتشرتشل، مؤكدا ان الانسحاب من غزة كان خطأ فادحا. واوضح سبب بقاء الاحتلال في الضفة الغربية وفسر كيف يؤدي النهج التصالحي لاسرائيل الى تشجيع ايران على دعم الارهاب. يعلون قال بأن حدود حزيران (يونيو) لا توفر حلا أمنيا في نفس السياق قال ان مصدر الهجمات الارهابية يكمن في رفض العالم العربي الاعتراف بوجود اسرائيل. هل يعرف شيئا ما لا نعرفه نحن حول السلام مع مصر والاردن؟ وهل تراجعت الجامعة العربية عن قرارها بالتطبيع مقابل الانسحاب الى خطوط حزيران (يونيو)؟

مستوطنون في المجاري

في الاسبوع الماضي نشر هنا (المجاري لا تنتظر الشريك) حول خطر وصول المياه الملوثة العكرة الناجمة عن تجميد المساعدة المقدمة لتنقية المياه العادمة في المناطق الى أفواه اطفال اسرائيل. حسب معطيات ودلائل جمعتها جمعية «هناك قانون» يتبين أن المستوطنين يسهمون بصورة هامة في تلويث المياه الجوفية التي تشرب من اراضي السامرة المقدسة الى سفوح والمنحدرات الساحلية. قبل اكثر من خمس سنوات واثر ضغوط دولية ومحلية طويلة شرعوا باقامة مشروع لصرف المياه العادمة وفي مركزه بركة بين كفر برا وجلجوليا (داخل الخط الاخضر). من اجل هذا الغرض تم اجتثاث اشجار الزيتون في الوادي ووضع انبوب رئيسي ووضع التجهيزات الاخرى المطلوبة ، ولم تبق الا مشكلة صغيرة ـ الموقع ليس مربوطا بأي شيء آخر. نافذ منصور رئيس المجلس القروي المجاور في دير استيا يذكر بان اسرائيل قد أعلنت عن المنطقة باعتبارها «محمية طبيعية» والمواطن المحلي الذي يضبط وهو يقطف زهرة محمية على اطراف مستنقع المجاري هذا سيعاقب.

مستوطنو رباباه وياكير حلوا هم ايضا مشكلة الصرف من خلال تحويل مجاريهم الى الاراضي التي ابقاها المستوطنون للجيران الفلسطينيين. اشجار الزيتون في قرى جنصافوط التي نجت من فؤوس الزعران اليهود وقعت ضحية لقاذوراتهم وبرازهم. وان لم يكن ذلك كافيا ففضلات مصنع الحمضيات في المنطقة الصناعية عمانويل تتدفق في الاراضي المفتوحة وتغرق الاغراس والحقول في طريقها. المغسلة في كرني شومرون التي تقدم خدماتها للمستشفيات في اسرائيل تسهم هي الاخرى بنصيبها لصحة الجمهور من خلال سكب مياهها العادمة في اراضي قرية حجة الزراعية.

عكيفا الدار
كاتب رئيسي في الصحيفة
(هآرتس) 2006/5/16

الفضل في تغيير موقف القذافي يعود لابنه سيف ولرئيس mi6 السابق

توبة ليبيا وسام وحيد على صدر الرئيس الامريكي

معمر القذافي

■ توبة ليبيا وسام امتياز بارز، لكنه وحيد جدا، على صدر جورج بوش، وهي ايضا البرهان الذي يستعمله «المحافظون الجدد»، وهم جماعة من الموظفين الكبار يخدمون في وزارة الدفاع ومسؤولون عن صياغة السياسة الخارجية للادارة، على أن السياسة الخارجية العنيفة والمتصلة تؤتي أُكلها حقا.

عُدّ القذافي لسنين طويلة، وكذلك عدّه نظراؤه في الدول العربية، الزعيم الأكثر تشددا وجنونا من الجميع. فقد أيدت عشرات المنظمات الارهابية، وفي ضمنها منظمات لم تكن له بها أية صلة مثل جماعات نازية جديدة والعصابات السرية في ايرلندا، حتى كان يبدو أنه يفعل ذلك ببساطة تلذذا بذلك. وقد وقف من وراء المبادرات الأكثر تشددا على اسرائيل والغرب، وأرسل اموالا الى أكثر الجهات تطرفا، وطلب توحيد العالم العربي تحت أجندة اسلامية غير مهادنة بل حاول أن يُنظم انقلابات في عدد من الدول التي حاولت التحلل منه.

ولهذا لم يعجب أحد ايضا عندما أعلنت الـ (سي.آي.ايه) في بداية 2001 للموساد بأن القذافي قد قطع شوطا بعيدا في طريق انتاج السلاح النووي.

طوال السنين حاولت الولايات المتحدة اسقاط نظام حكم القذافي بالقوة لكنها فشلت. وصلت الى أقرب مدى في 1986، عندما أمر الرئيس ريغان بقتله. لكن القنبلة التي قذفتها قاذفة امريكية نجحت في أن تقتل الابنة الصغيرة فقط لزعيم ليبيا.

بعد أن تم اثبات على مشاركة ليبيا في تفجير طائرة «بان امريكان» في سماء سكوتلندا في 1988 غيرت الولايات المتحدة الاستراتيجية وأقنعت المجموعة الدولية أن تفرض على ليبيا قطيعة تامة في جميع المجالات.

أصبحت ظروف الحياة في الدولة، والتي كانت أصلا فقيرة ضعيفة، غير محتملة. ان حلم القذافي بأن يجعل ليبيا جوهرة تاج العالم العربي تلاشى في نقص عميق وجهل طاغ.

كان أبناء القذافي، وفي الأساس سيف الاسلام، هم الذين جلبوا التغيير. ان الابن خاصة الذي رأى جثة أخته قد أدرك أن مصلحة ليبيا تقتضيها طلب العفو، وأن تكف كفا تاما عن تأييد الارهاب وأن تحل مشروع الذرة. ربما لو لم يحصل الابن سيف الاسلام على دراسته في بريطانيا، حيث أصبح مشجعا كبيرا لكرة القدم الاوروبية، لبقي القذافي الأب متشددا، ومعزولا وخطرا.

في نهاية الأمر انتجت العقوبات. فقد سلمت ليبيا المتهمين بالمشاركة في قضية «بان امريكان»، ودفعت مئات ملايين الدولارات الى عائلات الضحايا وفتحت منشآتها النووية أمام مراقبي الامم المتحدة. وباختصار أصبح العالم مكانا أكثر أمنا. حدث التحول المفاجئ للقذافي قبل أكثر من سنتين. لم تعجل الولايات المتحدة باحتضانه. أمر الرئيس بوش بالفحص عن صدق التصريحات عن وقف تأييد الارهاب. أمس فقط، عندما أجازت الجهات الاستخبارية أن القذافي أصبح ولدا طيبا، أعلنت رايس عن تجديد العلاقات معه.

تستحق حكومة بريطانيا وساما خاصا، وبخاصة السير ريتشارد بيرلاف، رئيس الـ ام.اي 6 سابقا، والذي عمل من وراء الأستار بسرية تامة من اجل عودة القذافي الى عائلة الشعوب.

فشل الموساد الاسرائيلي بمقابلة ذلك، مرتين: قبل كل شيء عندما لم ينجح في الحصول على معلومات جليلة ما عن مشروع ليبيا الذري، الذي كان في طور متقدم جدا، والثانية عندما قرأ أفراده في الصحيفة عن التحول الحاد للقذافي.

رونين بيرغمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/5/16

لا يمكن الاعتماد عليه لاجراء المفاوضات المصيرية حول مستقبل حدود الدولة

زعيم كديما استسلم بسهولة ويفتقر لقوة في الصمود

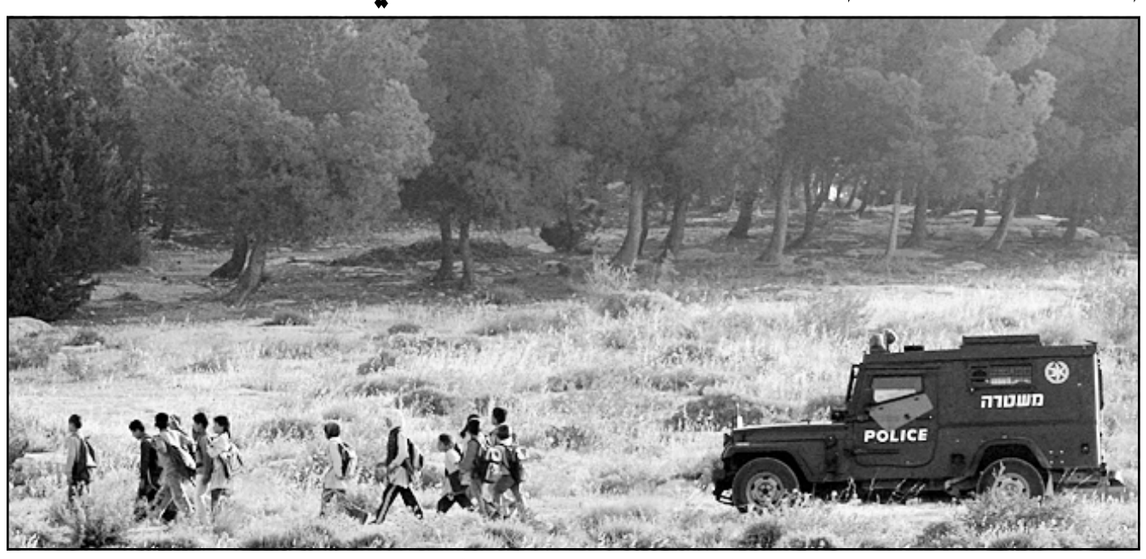

سيارة شرطة اسرائيلية تلاحق اطفالا فلسطينيين في قرية التواني قرب الخليل

■ من المحزن جدا ان نكتشف أنه عندما تتم في اسرائيل ثورة اجتماعية هامة فهي لا تصمد ولا تستديم. قبل ثلاث سنوات فقط قررت الحكومة، بدعم حماسي من اهود اولمرت، معادلة مخصصات الاولاد ومساواتها للجميع، ولكن هذه المساواة آخذة في التلاشي الآن.

عندما بدأت المفاوضات مع شاس ويهدوت هتوراة، كرر رئيس الوزراء قوله بأن الحديث يدور حول مسألة مبدئية، ولذلك لا توجد احتمالية لموافقته على اعادة التمييز بين الطفل الاصولي والطفل العلماني. ولكن اولمرت ليس اريئيل شارون. اولمرت يتصبب عرقا بسهولة، وليست لديه قدرة شارون على الصبر والتحمل. هو لا يقوم «بتجفيف» الطرف الآخر المساوم، ولا يتركه ينضج في مرقه. هو لم يدرك أن شاس تريد الدخول الى الحكومة أكثر من رغبته هو في رؤيتها داخل هذه الحكومة. هو يسعى الى إبداء نجاحه، ولكن إنهاء المفاوضات الائتلافية بسرعة خطأ فادح جدا.

الخطأ القديم في هذه المسألة ارتُكب قبل ثلاثين عاما على يد لجنة بن شاحر التي قررت تغيير النهج المتبع الذي كانت فيه الدولة تُقدم الدعم للعائلات كثيرة الاولاد. بدلا من اعفائها من ضريبة الدخل، أوصى بصرف المخصصات لهذه العائلات من دون علاقة بعمل الوالدين أو عدمه.

الاصوليون أدركوا على الفور أن أمامهم منجما من الذهب. وعليه بدأوا يضغطون من اجل زيادة المخصصات من الطفل الرابع فما فوق. فقامت المالية من اجل معادلة هذه النفقات بتقليص مخصصات الطفلين الاول والثاني. وعليه، وصلنا الى الذروة الجنونية في عام 2001: مخصص الطفل الخامس وما فوق يبلغ 856 شيكلا، مقابل 171 شيكلا للطفلين الاول والثاني.

هذه لم تكن مجرد تفرقة، وليس فقط مسا بالعائلات العلمانية، وانما سياسة تشجع انجاب الاطفال في العائلات الاصولية والمسلمة والبدوية، وقلصت الرغبة في العمل وزادت أحجام الفقر ـ ذلك لأن كل طفل جديد في تلك العائلات يولد في دائرة الفقر.

في عام 2003 أوقف بنيامين نتنياهو هذه العملية المُدمرة. تقرر أن تتم مساواة مخصصات الاولاد بصورة تدريجية حتى عام 2009، ولكن عندئذ جاءنا اولمرت، وخلال مفاوضاته مع حركة شاس تنازل عن مبدأ مساواة المخصصات، واتفق معهم على تجميد العملية وإبقائها على مستواها الحالي. أي أن الطفل الاول في العائلة يحصل على 148 شيكلا، ولكن الرابع وما فوقه سيحصلون على 328 شيكلا للطفل الواحد. ولكن كان هناك أمل آخر بأن يواصل كل طفل جديد يولد الحصول على 158 شيكلا فقط من دون ترتيبه في العائلة. المالية قالت إننا سنصل الى مرحلة المساواة في المخصصات وإن كان ذلك سيتم في عام 2016 فقط.

ولكن هذا ذر للرماد في العيون. ذلك لأنه منذ اللحظة التي ظهر فيها الصدع في السد، لم يعد من الممكن ايقاف الطوفان. صحيح أن حاييم رامون، باسم اولمرت، عرض على يهدوت هتوراة «منحة للعائلة كثيرة الاولاد» بقيمة 500 شيكلَ شريطة أن يكون لدى العائلة اربعة اطفال وأكثر. بذلك يتحول الطفل الرابع في العائلة الى الطفل الأغلى قيمة شيكل للشهر. ولكن من المعروف للجميع أن الاغلبية الحاسمة من العلمانيين لا تملك إلا ثلاثة اطفال في الحد الأقصى، 828 شيكلا ـ وهم يعملون بكد ويدفعون الضرائب ويخدمون في الجيش ويقومون بسداد قروض السكن الخانقة ـ إلا أنهم، كما نعلم جميعا، المغفلون الأبديون.

وهذه ليست نهاية العملية. بعد أن نجح الاصوليون في القضاء على مبدأ المساواة، لن يلبث الطوفان أن يزداد ويتصاعد، خلال الازمة الائتلافية القادمة ستهدد شاس ويهدوت هتوراة بالانسحاب اذا لم يزيدوا لهم الـ 500 شاقل المخصصة للمنحة الى 1000 شاقل، وزيادة المخصصات لَلطفل الجديد من 148 شيكلا الى 328، وهكذا دواليك. فماذا سيفعل اولمرت حينئذ؟ حينئذ ايضا سيخشى من فقدانه للحكومة من دون الاصوليين.

بدلا من كسر مبدأ المساواة في مخصصات الاولاد، كان على اولمرت أن يعرض على الاصوليين مالا لتشجيع التعليم والثقافة العامة. كان عليه أن يعرض عليهم الدعم الحكومي لرياض الاطفال والتأهيل المهني على حساب الدولة من اجل تشجيعهم على الخروج الى العمل. ولكن اولمرت استسلم بسهولة. هو قابل للضغط ويفتقر لقوة في الصمود. وإن كانت الحال كذلك، فكيف سيكون من الممكن الاعتماد عليه عندما يقوم باجراء المفاوضات المصيرية حول مستقبل حدود الدولة.

نحميا شترسلر
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/5/16

الرابطة الكبرى للمحاضرين ستبحث في نهاية الشهر قطيعة كاملة

اسرائيل لا تزال هدفا للكراهية في بريطانيا

■ تُكتب الاقوال الآتية بأسف: فقد كانت بريطانيا خاصة هي الارض الأخصب والأكثر إنباتا لاقسى نقد لسياسة اسرائيل من الفلسطينيين، وهو نقد يلبس ايضا قرارات عملية، وإن لم تكن من قبل حكومة بلير. لأن منظمة المحاضرين الاكاديميين الكبرى في بريطانيا وعددها نحو 67 ألف محاضر، ستبحث في نهاية الشهر قرار مقاطعة نظرائهم في اسرائيل. إن القرار هذه السنة خلافا للمحاولة التي فشلت قبل سنة، لاتخاذ خطوة مشابهة، على يدي منظمة اكاديمية أصغر، كما يقول لنا العارفون في لندن، سيُجاز. سيدعو اعضاء الرابطة الى أن يزنوا علاقاتهم بنظرائهم في اسرائيل وبالمؤسسات الاكاديمية، التي لا تعارض معارضة معلنة سياسة التمييز العنصري التي تأخذ بها اسرائيل. هذه هي صيغة القرار.

ان الاحتمال السياسي والاعلامي لأن تحبط اسرائيل اقتراح القرار معدوم. يترأس الرابطة يساري متشدد هو بول مكني، المشارك في كل مسيرة فلسطينية أو معارضة لاسرائيل في بريطانيا. من الواضح أن الحكومة لا تستطيع فعل شيء، لأن الحديث عن اقتراح قرار لجهة مستقلة، ويجب الحذر من المس بحرية التعبير. ويُزاد على ذلك أن حكومة العمال المتعثرة تكرهها رابطة المحاضرين هذه كرها ربما لا يقل عن كرهها لاسرائيل. وتنمو الكراهية في ارض خصبة، لأن بلير هو الحليف الأكثر اخلاصا لبوش في الحرب في العراق. وبعد العراق، بالطبع، فلسطين. ان الروابط المهنية عظيمة التأثير في بريطانيا وهي ايضا توجه نقدا لاذعا لاسرائيل، وذلك في دولة فيها جمهور من المهاجرين المسلمين، له تأثير في مناطق انتخاب معينة ايضا، ويُرسل منتخبيه الى البرلمان. وفي هذه الايام، يصدر كتاب «لندنستان»، كما تُلقب لندن لقبا يشيع انتشارا. تبرهن المؤلفة، ميلاني فيليبس، كيف نما اسلام راديكالي تحت أنف المؤسسة التقليدية البريطانية.

سيكون القرار المتوقع في شأن القطيعة الاكاديمية، اذا، انعكاسا حقيقيا للمزاج العام في الخطاب العام السياسي في بريطانيا. ولماذا يؤسفنا هذا جدا، وعلى الأقل كاتب هذه المقالة؟ لاننا ما نزال يمكن أن نعثر في أعماقنا العامة على شيء ما من الثقافة البريطانية. الفكاهة والخشونة، في هذا المقام، هما انتاج اسرائيلي أصلي. ولكن اذا كانت توجد لدينا لغة عدم مبالغة، فان جزءا ضئيلا منها مستورد من بريطانيا.

وبتأكيد أنه توجد بقايا نوعية في جهازنا القضائي وفي المسرح. كنا نستطيع أن نتعلم من البريطانيين اخلاقا اخرى، مثل ضبط النفس وعدم المبالغة والفكاهة (وخاصة في الكنيست)، بل في البث العام شيئا ما. ولم يكن ليضر حياتنا العامة ايضا لو كانت تلك مُتبلة، كما هي الحال في بريطانيا، بمذكرات لاذعة يكتبها وينشرها أمناء سر عملوا في مكاتب الوزراء.

بمقابلة ذلك، على الأقل مرة في السنة تجتمع في بريطانيا هذه الرابطة أو تلك، ويبحث اعضاؤها بجدية كيف يقاطعون نظراءهم العلماء من اسرائيل. واذا، كما يقول الراصد الجوي، يصبح الضباب البريطاني المعروف أكثف، ولم تعد هناك قناة فقط، بل محيط وبحار واسعة الارجاء تفصل بين اسرائيل وبريطانيا، وتزداد العلاقات غموضا، وهذا بعدم مبالغة بريطانية، وهذا مؤسف جدا. هل يوجد أحد بيننا هنا يذكر أنه بعد اقامة الدولة بزمن قصير في 1948، كان هناك من اقترح أن تكون اسرائيل عضوا في «الكومنولث»؟.

يعقوب احيمئير
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/5/16

محكمة العدل العليا فشلت تقريبا

من حق اسرائيل أن لا تمنح الفلسطينيين حق العيش داخل اراضيها لاسباب أمنية

■ علاقة دولة اسرائيل بالأقلية العربية هي الأكثر ليبرالية في التاريخ الانساني للاكثرية بالاقلية، التي تتصل اتصالا وثيقا بشعب عدو. حسبنا أن نذكر ما فعله التشيك بالأقلية الالمانية بين ظهرانيهم، بعد أن أيدت قيادة الأقلية المانيا النازية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية وفي اثناء الحرب. طرد التشيك بعد الحرب جميع الالمان من منطقة السوديت. لم يُسمح للمطرودين بالعودة الى اليوم، رغم العلاقات السلمية بين المانيا وجمهورية التشيك.

بمقابلة ذلك، يعمل في اسرائيل اناس من أمثال احمد طيبي، مستشار عرفات سابقا، وعزمي بشارة في الكنيست. يحدث كل ذلك ودولة اسرائيل هي الوحيدة في العالم التي تعلن جاراتها بصراحة بأنها دولة غير مشروعة وأنه يجب محوها من الخريطة. هذا ما تفعله ايران وتؤيده حماس التي تسيطر في المناطق.

الى جانب الأخطار الخارجية تواجه اسرائيل خطر زعزعة تامة لصبغتها الداخلية. ليست القضية قضية أكثرية يهودية. فأنا كانسان علماني لا أرى صعوبة في استيعاب العمال الاجانب وأبنائهم. ولا توجد صعوبة ايضا في استيعاب غير اليهود بغير الشريعة، ويُمكّن قانون العودة من ذلك. كل اولئك سيكونون سكانا يُشايعون الدولة ومؤسساتها. تثور الصعوبة عندما يكون الحديث عن استيعاب سكان، رضعوا منذ طفولتهم فكرة أن اسرائيل دولة غير شرعية وأنه لا تسويغ لوجودها ـ لا كدولة اليهود بالتأكيد.

لن تُمكّن أي دولة سليمة العقل من استيراد كثيف لسكان كهؤلاء. لاسرائيل الحق الكامل في أن تطلب الى كل من يطلب السكن فيها – حتى في اطار لم الشمل – النظر في الكتب الدراسية التي كان المرشح مُعرضا لها، وأن يفحص ما علاقة ما حول اسرائيل باسرائيل وأن يقرر وفقا لذلك.

ما هو الإضرار بفلسطيني يُطلب اليه بدل السكن وزوجته في الطيبة أو في بئر السبع أن يفعل ذلك على مبعدة كيلومترات معدودة، في رام الله أو في نابلس؟ هذه هي البلاد نفسها (في نظرنا ارض اسرائيل، وفي نظرهم فلسطين)، والبيئة الثقافية ايضا متشابهة، رغم أن نظام الحكم والظروف الاقتصادية مختلفة. والسؤال هو هل يكفي هذا لتسويغ التعرض للخطر البالغ الذي يصحب الدخول الكثيف لسكان فلسطينيين في اسرائيل. ليس هذا هو الوضع في الدول الاوروبية، التي لم تصد عن تحديد لم الشمل داخلها، على الرغم من أنها غير مُعرضة للارهاب على شاكلة الارهاب الفلسطيني. إن أحد سكان الدانمارك الذي لا يسمحون له بأن يأتي بزوجته من أندونيسيا يبقى على مبعدة آلاف الكيلومترات من زوجته.

استغلت دولة اسرائيل الفرصة بفضل موقف القاضي حسين. يمكن أن نُقدر كبر الكارثة التي كانت ستحدث، لو كانت الأكثرية مخالفة وكانت محكمة العدل العليا بفرق صوت واحد تحسم حسما يعارض سن قانون ديمقراطي في الكنيست. يُثبت قرار الحكم كبر الخطر الكامن في التفسير الموسع الذي منحته محكمةَ العدل العليا لقوانين الأساس والصلاحية التي أخذتها لنفسها أن تلغي قوانين للكنيست، ولو بأكثرية عادية.

ينبغي أن نذكر أنه قبل إصدار قرار الحكم الحالي، أصدرت المحاكم، في ضوء قرار محكمة العدل العليا المتوقع، مئات بل آلاف الأوامر المرحلية، مكّنت الفلسطينيين من السكن في دولة اسرائيل خلافا للقانون. يوجد جزء ملحوظ من الاتهام بالوضع الحالي في الكنيست، التي لم تجرؤ بسبب ضعفها حتى اليوم على مجابهة الحكم الموسع بلا حد لصلاحيات محكمة العدل العليا ولم تضع حدا لا يجوز للمحكمة تجاوزه ـ وبالتأكيد لا بأكثرية عادية.

دانييل فريدمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/5/16

السلطات تحرص على الحفاظ على المكان كحديقة وطنية أثرية

نزاع حول ارض لمقبرتين اسلاميتين في القدس يصل الى محكمة العدل العليا

■ ليس في كل يوم يُتاح لقضاة محكمة العدل العليا الالتقاء بهيئة تطوعية مثل «لجنة منع هدم الآثار في جبل الهيكل»، التي يشارك في عضويتها ثلاثة من رفاقهم السابقين، ومن البارزين فيهم: رئيس محكمة العدل العليا السابق مئير شمغار، وموشيه لنداو والقاضية المتقاعدة مريام بن بورات.

شمغار وبن بورات ولنداو حرصوا على تسجيل أسمائهم شخصيا في الدعوى المرفوعة للمحكمة، إلا أنهم اعضاء في لجنة منع هدم الآثار التي تعتبر المدعي رقم واحد ضد الدولة في قضية المقبرة الاسلامية المعقدة والدقيقة التي تقع في احدى المناطق الحساسة في اسرائيل ـ عند منحدر السور الجنوبي الشرقي لجبل الهيكل (الحرم) من الخارج.

ايضا هناك أسماء لامعة وشهيرة بين الملتمسين، ومن بينهم الكاتب أ.ب يهوشع وس. يزهار والبروفيسور آفي رابتسكي ورئيس هيئة الاركان السابق دان شومرون ورؤساء الموساد السابقون تسفي زامير واسحق حوفي. والخبراء في الآثار البروفيسور ايهود نيتسر والبروفيسور روني رايخ والبروفيسور افرايم شتيرن (رئيس مجلس الآثار في سلطة الآثار) والبروفيسور اليعيزر اورن (نائبه) والدكتور غابي بركائي والدكتورة ايلان مزوز. هذه القائمة اللامعة تنتهي بالمحامي الدكتور شموئيل بركوفيتش، الخبير الدولي في الاماكن المقدسة في اسرائيل والذي قدم الالتماس باسم اللجنة.

آثار من الهيكل الأول

حسب وجهة نظر خبراء الآثار الذين قدموا الالتماس للمحكمة حول مساحة 2000 متر مربع، التي تعتبر جزءا من طريق الحصن (طريق العوفل بالعبرية)، تحتوي على الآثار العتيقة الأكثر حيوية في ارض اسرائيل. في هذا الموقع ما زالت هناك أبنية أصيلة من الحائط الشرقي لجبل الهيكل من عهد هيرودوس، وبناء عتيق أكثر قدما منه قرب نقطة التقاء الحائط الجنوبي حيث يَظهر بوضوح خط التماس الأفقي القديم الذي يفصل بين نوعين من البناء: الشمالي من عهد الحشمونيين على ما يظهر، والجنوبي من عهد هيرودوس.

تشارلز وورن، الذي قام بالتنقيب هنا قبل أكثر من 140 سنة، اكتشف أن حجارة الزاوية في الداماميك السفلية الخمسة قد بُنيت داخل ارض ثيراروسا التي تحتوي على آثار من الهيكل الاول. في الارض الحمراء ظهرت أختام من نوع «الملك» التي تم اكتشافها في ارض اسرائيل. هذه الأختام كانت تُنقش على أيدي الأباريق من عهد حزقياهو ملك يهودا (أواخر القرن الثامن ق.م)، وبجوار زاوية جبل الهيكل اكتشف وورن أول آنية فخارية من عهد الهيكل الاول.

إبان الحكم الاردني قامت الخبيرة الأثرية كاتلين كينون والأب رولان دي ـ وو بالتنقيب، وكشفا ستة مداميك من حجارة الحائط الشرقي التي لم تكن معروفة قبل ذلك. الدكتور بركائي يقول إن الدولة قد أعلنت عن المنطقة في عام 1967 كحديقة أثرية وطنية من خلال ادراكها لأهمية الآثار الموجودة في الموقع. كما أن المنطقة تعتبر مفتاحا للتعرف على آثار جبل الهيكل القديمة. «استمرار بناء القبور الاسلامية بجوار الهيكل الشرقي وحوله يُخفي الآثار القديمة الهامة ويُلحق الضرر بها، وهو يحول دون المشاهدة المباشرة للآثار القديمة التي تعتبر من أهم الآثار القائمة في العالم كله، وعلى وجه الخصوص تغلق الطريق أمام عمليات التنقيب الاخرى».

بركائي ورفاقه من خبراء الآثار يذكرون أن المعلومات التي جمعها وورن هي احدى نقاط الالتقاء النادرة للبناء بين عهدي الهيكل الاول والثاني، ويحذرون من أن الدفن الاسلامي في الموقع لم يُستخدم أبدا كمقبرة قد تسدل الستار على امكانية الحفر في المستقبل كما حدث مثلا مع منحدر الحائط الجنوبي وجزء من الحائط الغربي.

البروفيسور عميحاي مزوز وروني رايخ وايهود نيتسر وقعوا هم ايضا على وجهة نظر مشابهة، إلا أن الدولة التي تؤكد اغلبية الحقائق الواردة في الالتماس تحجم عن تطبيق القانون في الموقع بسبب ما يعتبره مفتش عام شرطة القدس ايلان فرانكو: «أعمال شغب بهذه الدرجة أو تلك»، التي قد تنجم عن محاولة تطبيق القانون في المكان. سلطة الآثار هي الاخرى مكبلة اليدين، ذلك لأن كل أعمالها خاضعة لتعليمات المستوى السياسي ونواياه.

المنطقة التي يجري الحديث عنها تتلامس مع السور الشرقي لجبل الهيكل وفي موازاتها، الذي يمتد لـ 800 متر من بينها 650 مترا شمالي وجنوبي باب الاسباط وباب الرحمة، فيها مقبرتان اسلاميتان، الاولى شمالي باب الاسباط واسمها «المقبرة اليوسيفية»، والثانية جنوبي باب الاسباط وباب الرحمة واسمها «مقبرة باب الرحمة».

الطرف الجنوبي من مقبرة باب الرحمة محاط بجدار قديم. بين هذا الجدار والزاوية الجنوبية الشرقية من سور جبل الهيكل (الحرم) تقع المنطقة المتنازع عليها: طول هذه المنطقة 80 مترا وعرضها 25 مترا. جزء من طريق الحصن التي لم تُستخدم للدفن في السابق بالمرة. في هذا الموقع المحدد في القانون كموقع للآثار وكجزء من «الحديقة الأثرية الوطنية» بدأ العرب المسلمون يدفنون موتاهم قبل سنين قلائل. الشرطة تقول أن 21 ميتا قد دُفنوا في هذا الموقع حتى الآن، بينما حُفر 39 قبرا آخر جاهزة للاستخدام. الشرطة ايضا تقوم باحصاء 35 قطعة قبر اخرى لا تعرف ان كان فيها موتى مدفونون أم لا حتى الآن. «اللجنة» في المقابل تتحدث عن عملية دفن فعلية لـ 15 ميتا فقط، وعن عدة عشرات من خلايا الدفن والقطع الجاهزة من دون خلايا دفن مع حجارة تحدد هوية أصحابها. قبل التماس لجنة حماية الآثار، كانت قد قُدمت دعوى اخرى في نفس القضية في السابق من قبل الناشط اليميني آريه كينغ. كينغ قام باجراء دراسة خاصة به ووجد أن مختار قرية سلوان يقوم مع شخصين اثنين آخرين ببيع قطع للقبور في الموقع لكل من يطلب بقيمة 2500 شيكل للقبر. الشرطة على حد قوله لا تمنع الدفن في المكان، الا انها تكتفي بالتفاوض مع أصحاب القبور حول قطع الدفن من اجل تخفيض ارتفاع مبنى القبر.

كينغ قدم لمحكمة العدل العليا تصريحا يقول فيه إنه هو نفسه قد اشترى من مختار سلوان قبرين بواسطة وسيط وهمي عربي. القضاة قرروا ضم التماس كينغ الى الدعوى المقدمة من لجنة حماية الآثار.

قضية جبل الهيكل بكل تعقيداتها وحساسياتها باعتبارها قضية هامة لقلة قليلة خاصة من أنصار اليمين الديني أو ثلة من المهووسين غريبي الأطوار والتآمريين المحرضين كما اعتادت وسائل الاعلام وصفهم. أما الآن فنرى أمامنا أن اعضاء لجنة منع هدم الآثار هم ليسوا بهذه الصفة، وعليه فقد خلقوا واقعا جديدا وانتزعوا الاهتمام بقضية جبل الهيكل والمنطقة المحيطة به من دائرة اليمين.

على سبيل المثال، هكذا يبدو البيان الأول الذي نشرته اللجنة قبل عدة سنوات ووقعه 82 عضو كنيست من كافة الاحزاب ومن بينهم اعضاء كنيست من ميرتس. بعد ذلك انضم اليهم الكُتاب والشعراء وحتى تيدي كوليك. اللجنة أجبرت السلطات في الواقع بواسطة المحكمة على إفساح المجال أمام مشروع تصفية الأتربة التي استُخرجت من الحرم، إبان عمليات البناء الحثيثة التي بادرت اليها الأوقاف خلسة داخل الحرم واسطبلات سليمان (المصلى المروانى).

قضاة المحكمة العليا يتوخون الحذر، الا أنهم يُبدون في نفس الوقت بعض التعاطف مع الالتماس. هم رفضوا اصدار أمر احترازي في الوقت الحالي، الا أنهم أصدروا أمرا مشروطا بالزام الدولة باعطاء تفسير وتبرير حتى آخر هذا الشهر لعدم وضع جدار حول القبور التي يوجد فيها موتى في طريق العوفل حتى الآن، ولماذا لا يتم الهدم الفوري لكل مدفن فارغ في الموقع وازالة الشواهد التي تحدد هوية صاحبها من اجل الدفن المستقبلي، ولماذا ايضا لا يتم تقديم باعة القبور ومن يحف